

الرجاء في الله

جمع وترتيب

السيد محمد بن علوي العيدروس

(سعد)

مُقدِّمة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين وإمام الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فإن الرجاء في الله تعالى من أعظم مقامات السالكين ، وأعلى درجات المتقين ، والرجاء مع الخوف مقامان جليلان من مقامات الدين ، يصل بهما المؤمن إلى أعلى درجات القرب من رب العالمين سبحانه وتعالى ، لذلك جمعنا في هذه الرسالة المباركة ما يتعلق بهذه الصفة العظيمة ، والخصلة الكريمة من الآيات والأحاديث المصطفويات ، وفضيلة الرجاء والترغيب فيه وكيفية حصوله ، وغير ذلك . نسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة ، ويرزقنا كمال الإخلاص في العمل ، والقبول منه عزّ وجل ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ...

المؤلف

محمد بن علوي العيدروس



الآيات الواردة في الرجاء

(١) قال تعالى : {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [1]

(٢) {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } [2] .

(٣) {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } [3] .

(٤) { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً } [4] .

(٥) {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً} [5]

(٦) {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً } [6]

(٧) {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [7] .

(٨) { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ } [8] .

(٩) { وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ } [9] .

(١٠) {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى } [10] .

---

[1]) الضحى ٥ .
[2]) فاطر ٣٢ ، ٣٣ .
[3]) النساء ٤٨ .
[4]) النساء ٦٤ .
[5]) النساء ٣١ .
[6]) النساء ١١٠ .
[7])الزمر ٥٣ .
[8])الرعد ٦ .
[9]) سبأ ١٧ .
[10]) طه ٤٨ .

(١١) { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }[1] .

(١٢) {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[2].

(١٣) {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ }[3].

(١٤) {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ }[4] .

(١٥) { وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ }[5] .

(١٦) { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ }[6] .

معاني ودلالات لهذه الآيات من كلام خير البريات صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم

قوله تعالى : {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى }[7]

روي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما انزل الله آية أرجى من قوله :{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } فادخرتها لأمتي يوم القيامة)[8].

ولما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام : (إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار) أي من المؤمنين الموحدين وفي ذلك يقول شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت :

قرأنا في الضحى و لسوف يعطي ... فسرَّ قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى ... وفينا من يعذب أو يساء

---

[1])الأعراف ١٥٦ .
[2]) الأنفال ٣٢ .
[3]) الطور ٢١ .
[4]) غافر ٣ .
[5]) الشورى ٢٣ .
[6]) هود ١١٤ .
[7]) الضحى ٥ .
[8]) رواه الديلمي .

قوله تعالى :{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } .

قال ابن عباس : يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي عثمان ألنهدي قال : قال سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : {ثمَّ أوْرَثنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .الآية فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له) .

واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق . فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين قرأ هذه الآية : {ثُمَّ أَوْرَثْنَا } الآية فقال : (أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة) وقال عقبه بن صهبان : سألت عائشة عن قول الله عز وجل : {ثمَّ أوْرَثنَا الكِتابَ } الآية فقالت : يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظلم فمثلي ومثلكم .

وعن أبن عباس قال : السابق المؤمن المخلص ، والمقتصد المرائي ، والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال : {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } .

قال الرازي في تفسيره الكبير للقرآن الكريم والمختار هو أن الظالم من خالف فترك أوامر الله وارتكب منا هيه فإنه واضع للشيء في غير موضعه ، والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وإن لم يوفق لذلك ، والسابق هو الذي لم يخالف بتوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى : { بِإِذْنِ اللَّهِ } أي اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد . ونقول بعبارة أخرى من غلبته النفس ألا مارة وأمرته فأطاعها ظلم ، ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب أخرى فهو المقتصد ، ومن قهر نفسه فهو السابق .

قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ }

قال ابن عمر رضي عنه :(كنا على عهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} الآية .

وعن جابر قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) وحكي عن علي رضي الله عنه أن أرجى آية في القرآن قوله : { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } .

قال أبو ذر : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد أستيقظ فقال :(ما من عبد قال لا اله إلا الله ثم مات على ذلك ألا دخل الجنة) قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (وإن زنى وإن سرق) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (وإن زنى وإن سرق) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال (وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر) .

قوله تعالى : {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً } .

اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس) .

وعن سعيد بن جبير : أن رجلاً سأل أبن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر : أسبع هي ؟ قال هي إلى السبعمائة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع ألاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار . وقال : كل شيء عصي الله به فهو كبيرة ، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة ألا راجعاً عن الإسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر .

وقال سفيان الثوري : الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان كريم يعفو . واحتج بما روي عن أنس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ينادي منادي من بطنان العرش يوم القيامة : يا أمت محمد أن الله عز وجل قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات ، توا هبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي)) .

وقوله :{ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }، أي من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهم ما أجتنب الكبائر)) .

قوله تعالى :{ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً } .

قال الرازي في تفسيره : اعلم أن هذه الآية دالة على حكمين :

الأول : أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب سواء كانت كفراً أو قتلاً عمداً أو غصباً للأموال لان قوله : { وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ } عم الكل .

الثاني : أن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كاف ، وقال بعضهم : إنه مقيد بالتوبة لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار ، وقوله :{ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً } معناه غفوراً رحيماً له وحذف هذا القيد لدلالة الكلام عليه فإنه لا معنى للترغيب في الاستغفار ألا إذا كان المراد ذلك .

وكان ابن مسعود يقول : أربع آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها قوله تعالى : { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } وقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً } .

وقولـه تعـالى : {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً} .

وقولـه تعـالى : {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً} .

قوله تعالى : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} .

لما قتل وحشي بن حرب حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك ، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام ألاّ أنا سمعناك تقول وأنت بمكة {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ} وقد دعونا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت {إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً} الآيتين ، فبعث بهما رسول الله إليهم فلمّا قرؤوا كتبوا إليه : إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل صالحاً ، فنزل {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} فبعث بها إليهم فبعثوا إليه : إنا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة ، فنزلت {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم .

قوله تعالى :{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ } .

قوله تعالى : { وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ } .

أي وهل يجازي مثل هذا الجزاء إلا الكفور . قال مقاتل : هل يكافأ بعمله السيىء إلا الكفور لله في نعمه . وقال الفراء : المؤمن يجزى ولا يجازى للثواب بعمله ولا يكافأ فا بسيئاته .

قوله تعالى : {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى } .

أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه . وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن عقاب المؤمن لا يدوم .

قوله تعالى :{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } .

أي عمت كل شيء . قال الحسن وقتادة : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة المتقين خاصة .قال عطية ألعوفي : وسعت كل شيء ولكن لا تجب ألا للذين يتقون وذلك أن الكافرين يرزقون ويدفع عنهم بالمؤمنين لسعة رحمة الله بالمؤمنين فيعيشون فيها ، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج : لما نزلت : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } ، قال إبليس : أنا من ذلك الشيء ، قال الله سبحانه وتعالى : { فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } فتمناها اليهود والنصارى وقالوا : نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن ، فجعلها الله لهذه الأمة فقال : {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ } .

وهذا هو القول الأول وهو أن رحمته في الدنيا عمت الكل ، وأما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين . وقيل : الوجود خيرٌ من العدم ، وعلى هذا التقدير فلا موجود إلاّ وقد وصلت إليه رحمته ، وأقل المراتب وجوده . وقيل : الخير مطلوب بالذات ، والشر مطلوب بالعرض ، وبالذات راجح غالب ، وما بالعرض مرجوح مغلوب[1].

قال تعالى : {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } .

قال أبو موسى الأشعري : كان فيكم أمنان ، فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى ، والاستغفار كائنٌ فيكم إلى يوم القيامة .

قوله تعالى : {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ }.

ومعناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار ، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم ، والصغار بإيمان آبائهم فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد الأبوين ، ألحقنا بهم ذريتهم المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمةً لآبائهم لتقر بذلك أعينهم .

قوله تعالى : {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ } .

غافر الذنب أي ساتر الذنب ، وقابل التوب يعني التوبة .

قال ابن عباس : غافر الذنب لمن قال لا إله إلاّ الله ، وقابل التوب ممن قال لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلاّ الله ، ذي الطول أي ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلاّ الله . قال مجاهد : ذي الطول أي ذي السعة والغنى . وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه .

---

[1]) قال الإمام علي كرم الله وجهه : ((يسرني من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه ، قال تعالى : {عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }، فجعل الرحمة عموما والعذاب خصوصاً)).

قوله تعالى : { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } .

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي : ((أتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)) [1] . وقال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : ((إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ)) .

فضيلة الرجاء والترغيب فيه

أعلم أن عمل الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب الرجاء . واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه ، والآخر رجاء لثوابه . ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما في وقت الموت . قال تعالى : { لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ }، فحرم أصل اليأس . وفي أخبار يعقوب عليه السلام ، أن الله تعالى أوحى إليه : ((أتدري لما فرقت بينك وبين يوسف ؟ لأنك قلت (أخاف أن يأكله الذئب) ولم ترجني ، ونظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له)) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((لا يموتنَّ أحدكم إلاّ وهو يحسن الظن بالله تعالى)) [2] ، وقال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : ((يقول الله عزَّ وجل : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)) .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في ا لنزع فقال : ((كيف تجدك ؟)) فقال : أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((ما اجتمع في قلب عبدٍ في هذا الموطن إلاّ أعطاه الله ما رجاء وأمَّنه مما يخاف)) .

وقال سفيان : (من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدَّره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ، فإن لقنه الله حجته قال : ربِّ رجوتك وخفت الناس ،قال فيقول الله تعالى : قد غفرته لك)) .

---

[1]) حديث حسن .

[2]) رواه مسلم .

ورئي أبان بن أبي عياش في النوم ، وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء ، فقال : أوقفني الله تعالى بين يديه فقال : ما الذي حملك على ذلك ؟ فقلت : أردت أن أحببك إلى خلقك فقال : قد غفرت لك .

ورئي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني الله بين يديه وقال : يا شيخ السوء فعلت وفعلت ، قال فأخذني من الرعب ما يعلم الله . ثم قلت يا رب ما هكذا حُدثتَ عنك . فقال : وما حدَّثت عني ؟ فقلت : حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ، وكنت أظن بك أن لا تعذبني ؛ فقال الله تعالى صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت . قال : فألبست مشيا بين يدي الوالدان إلى الجنة فقلت يا لها من فرحة ""

بيان دواء الرجاء

إعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين : إما رجل عليه اليأس فترك العبادة ، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضرَّ بنفسه وأهله . وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط ، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال . فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي ، فأدوية الرجاء تنقلب سموماً مهلكة في حقه ، وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد ، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة . بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له .

فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظراً إلى مواقع العلل ، معالجاً لكل علة بضادها ، لا بما يزيد فيها .

قال الإمام علي كرَّم الله وجهة : إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ،ولا يؤمنهم من مكر الله .

ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس ،أو فيمن غلب عليه الخوف إقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعاً لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق .

وحال الرجاء يغلب بشيئين : احدهما ألاعتبار والآخر استقراء الآيات والإخبار والآثار .

ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له :أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ }[1] قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية :أعلم أن أصحابنا تمسكوا بهذه الآية على انه تعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة ، ووجه الاستدلال به أن قوله :{ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ } ، أي حال اشتغالهم بالظلم كما أنه يقال : رأيت الأمير على أكله أي حال اشتغاله بالأكل فهذا يقتضي كونه تعالى قد يغفر الذنب قبل الاشتغال بالتوبة .

روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في ألآخره عجّل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار))[2] . وفي لفظ آخر ((يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها))[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم ((الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار))[4] ، وروي في تفسير قوله تعالى : { يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ }[5].

---

1) الرعد ٦ .

2) أخرجه أبو داود دون قوله : ((فإذا كان يوم القيامة ... الخ)) فرواها ابن ماجة من حديث أنس بسند ضعيف .

3) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى ((إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً)) .

4) أخرجه أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامه وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف أسمه .

5) التحريم ٨ .

أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام : ((أني اجعل حساب أمتك إليك ، قال لا يا رب ، أنت أرحم بهم مني . فقال : إذاً لا نخزيك فيهم))[1] .

وروي عن أنس أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال : ((يا رب اجعل حسابهم إليَّ لئلاً يطلع على مساويهم غيري)) ، فأوحى الله تعالى إليه : ((هم أمتك ، وهم عبادي ، وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلاً تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك)) .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((حياتي خير لكم وموتي خير لكم ، أما حياتي فأسنُّ لكم السنن ، وأشرع لكم الشرائع ، وأما موتي فإن أعمالي تعرض عليَّ فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه ، وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم))[2].

وقال صلى الله عليه وسلم يوماً : ((يا كريم العفو)) ، فقال جبريل عليه السلام : ((أتدري ما تفسير يا كريم العفو ؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدّلها حسنات بكرمه))[3].

وفي الخبر : ((إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله ، يقول الله عزّ وجل لملائكته : انظروا إلى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ، ويأخذ بالذنب ، أشهدكم أني قد غفرت له))[4].

وفي الخبر : ((لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني))[5]. وفي الخبر : ((لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب الأرض مغفرة))[6].

---

[1]) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله .

[2]) أخرجه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح ، إلا عبد المجيد بن عبد العزيز أخرجه له مسلم والنسائي ، وضعفه كثيرون .

[3]) الموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل .

[4]) متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ((إن عبداً أصاب ذنباً)) .

[5]) أخرجه الترمذي .

[6]) أخرجه مسلم .

وفي الحديث : ((إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه ، وإلاّ كتبها سيئة)) ، وفي لفظ آخر : ((فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال — وهو أمير عليه — ألقِ هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعف العشر ، وأرفع له تسع حسنات ، وتلقى عنه السيئة)) .

وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((إذا أذنب العبد ذنباً كُتبَ عليه)) ، فقال غعرابي : وإن تاب عنه ؟ قال : ((محي عنه)) ،قال : فإن عاد ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((يكتب عليه)) ، قال الإعرابي : فإن تاب ؟ فال : ((محي من صحيفته)) ، قال : إلى متى ؟ قال : ((إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عزّ وجل ، إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار ، فإذا همّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها ، فإن عملها كُتبت عشر حسنات ، ثم يضاعفها الله عزّ وجل إلى سبعمائة ضعف ، وإذا همّ بخطيئة لم تكتب عليه ، فإذا عملها كُتبت خطيئة واحدة ووراءها حُسن عفو الله عزّ وجل)) [1].

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني لا أصوم إلاّ الشهر لا أزيد عليه ، ولا أصلي إلاّ الخمس لا أزيد عليها ، وليس لله في مالي صدقة ، ولا حج ، ولا تطوع ، أين أنا إذا متت ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ((نعم معي إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل والحسد ، ولسانك من اثنتين : الغيبة والكذب ، وعينك من اثنتين : النظر إلى ما حرم الله وأن تزدري بهما مسلماً ، دخلت معي الجنة على راحتيّ هاتين)) .

[1]) أخرجه البيهقي .

وفي الحديث الطويل لأنس ، أن الإعرابي قال : يا رسول الله ، من يلي حساب الخلق ؟ فقال : ((الله تبارك وتعالى)) ، قال : هو بنفسه ؟ قال : ((نعم)) ، فتبسم الإعرابي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مما ضحكت يا إعرابي ؟)) فقال : إن الكريم إذا قدَّر عفا ، وإذا حاسب سامح . فقال ا لنبي صلى الله عليه وسلم : ((صدق الإعرابي ، ألاَ لا كريم أكرم من الله تعالى ، هو أكرم الأكرمين)) ، ثم قال : ((فقُه الإعرابي)) . وفيه أيضاً : ((إن الله تعالى شرَّف الكعبة وعظمها ، ولو أن عبداً هدمها حَجَراً حَجَرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخفَّ بولي من أولياء الله تعالى)) قال الإعرابي : ومَن أولياء الله تعالى ؟ قال : ((المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى ، أما سمعت قول الله عزَّ وجل : {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}١)) ، وفي الخبر : ((يقول الله عزَّ وجل : إنما خلقت الخلق ليربحوا عليَّ ولم أخلقهم لأربح عليهم)) ، وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما خلق الله تعالى شيئاً إلاَّ جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه)) ٢.

ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً حُرِّمت عليه النار))٣ ، ((ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان))٤ . وفي خبر آخر : ((لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد)) .

وفي الخبر : ((لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم)) ٥. وفي لفظ آخر : ((لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم ، أنه هو الغفور الرحيم)) ٦. وفي الخبر : ((لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب)) ، قيل : وما هو ؟ قال : ((العجب)) ٧.

---

1) البقرة٢٥٧.
[2]) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان .
[3]) أخرجه الشيخان .
[4]) أخرجه أحمد .
[5]) أخرجه مسلم .
[6]) من حديث أبي هريرة .
[7]) أخرجه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها)) ١. وفي الخبر : ((ليغفرنَّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى أن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه)) ٢. وفي الخبر : ((إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة ، فبها يتراحم الخلق ، فتحن الوالدة على ولدها ، وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه ، وكل رحمة منها طباق السماوات والأرض ، قال فلا يهلك على الله يومئذٍ إلا هالك)) ٣.

وقال صلى الله عليه وسلم : ((إني خبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، أترونها للمطيعين المتقين ، بل هي للمتلوثين المخلطين)) .

روى محمد بن الحنيفة عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزل قوله تعالى : { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } ، قال : ((يا جبريل وما الصفح الجميل ؟)) قال عليه السلام : ((إذا عفوت عن من ظلمك فلا تعاتبه)) ، فقال : ((يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه ، فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال : إن ربكما يقرئكما السلام ، ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه ؟ هذا ما لا يشبه كرمي)) ٤.

والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : (من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا ،فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا ، فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة) . وقال الثوري : (ما أحب أن يجعل حسابي على أبويَّ ، لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما) . وقال بعض السلف : المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه .

---

[1]) متفق عليه .
[2]) أخرجه ابن أبي الدنيا .
[3]) متفق عليه .
[4]) أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن علي .

وكتب محمد بن صعب إلى اسود بن سالم بخطة إنّ العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرفع يديه يدعو يقول : ياربي حجبت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة ياربي قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي ؟ قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له .

وقال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه : خلا لي الطواف ليلة ، وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب ، فقلت يا ربي اعصمني حتى لا أعصيك أبداً فهتف بي هاتف من البيت ،يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون مني ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ؟ ولمن أغفر ؟ وكان الحسن يقول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب .

وقال الجنيد رحمة الله عليه : إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين .

ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له : إلى كم نحدث الناس بالرخص ؟ فقال يا أبا يحيى إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرف له كساءك هذا من الفرح .

وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال : لما مات أخي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً، وقال : إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ،وربي غير غضبان إني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفترّوا ،إنّ محمداً صلى الله عليه وسلم ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إلهم . ثم طرح نفسه ،فكأنها كانت حصاة وقعت في طشت فحملناه ودفناه .

وفي الحديث ((أن رجلين من بني إسرائيل توخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي أبعثت عليّ رقيباً حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال : لا يغفر الله لك ، قال : فيقول الله تعالى يوم القيامة : ((أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي ، اذهب أنت فقد غفرت لك)) ، ثم يقول للعابد : ((وأنت فقد أوجبت لك النار)) قال : ((فو الذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته))[1].

وروي في الأثر أن رجلين كان من العابدين ، متساويين في العبادة ، قال فإذا أدخِلا الجنة رُفِع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه ، فيقول : يا رب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته عليَّ في عليين ؟ فيقول الله سبحانه : ((إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى ، وأنت كنت تسألني النجاة من النار ، فأعطيت كل عبد سؤاله)) . وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف .

ولذلك أمر الله بحسن الظن ، قال صلى الله عليه وسلم : ((إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة ، واسألوا الفردوس الأعلى ، فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء))[2].

وقال بكر بن سليم الصواف : (دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قُبض فيها ، فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟ قال : لا أدري ما أقول لكم ، إنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ، ثمَّ ما برحنا حتى أغمضناه).

وقال يحيى بن معاذ في مناجاته : (يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال ، لأني أعتمد في الأعمال على الإخلاص ، وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف . وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها ، وأنت بالجود موصوف) .

---

[1]) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد .

[2]) أخرجه مسلم .



وقيل أن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال : إن أسلمت أضفتك ، فمر المجوسي ، فأوحى الله تعالى إليه : يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ، ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك ؟ فمر إبراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه ، فقال له المجوسي : ما السبب فيما بدا لك ؟ فذكر له . فقال له المجوسي : أهكذا يعاملني ؟ ثم قال أعرض عليَّ الإسلام فأسلم .

وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمة الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت ، وإذا الجبار سبحانه يقول : ((أين العلماء ؟)) قال فجاءوا . ثم قال : ((ماذا علمتم فيما علمتم ؟)) قال فقلنا : يا رب قصَّرنا وأسأنا ، قال : ((فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب ، وأراد جواباً غيره)) ، فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدتَ أن تغفر ما دونه فقال : اذهبوا به فقد غفرت لكم . ومات بعد ذلك بثلاث ليالٍ .

وكان بعض السلف يقول في دعائه : يا رب ، وأي أهل دهر لم يعصوك ، ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم داراً ، سبحان ما أحلمك وعزّتك أنك لتعصى ما تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب[1].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحاً منه والجنة والنار حق ، أدخله الله الجنة على مكان من العمل)) [2] وفي رواية لمسلم : ((من شهد أن لا إله ألا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار)) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئته سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة) [3] .

---

[1]) منقول من الإحياء .
[2]) متفق عليه .
[3]) رواه مسلم .

معنى الحديث : من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة : أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود . و (قراب الأرض)معناه : ما يقارب ملأها .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : (يا معاذ) قال : لبيك رسول الله وسعديك . قال : (يا معاذ) قال : لبيك رسول الله وسعديك . قال : (يا معاذ) قال : لبيك رسول الله وسعديك ، ثلاثاً . قال : (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار) قال : يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال (إذاً يتكلوا) فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً) أي خوفاً من الإثم في كتم هذا العلم [1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟) قلنا : لا والله . فقال (الله أرحم بعباده من هذه بولدها)[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)) . وفي رواية : (إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون و بها يتراحمون و بها تعطف الوحش على ولدها ، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)[3].

---

[1]) متفق عليه .
[2]) متفق عليه .
[3]) متفق عليه .

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى قال : ((أذنب عبد ذنباً فقال : اللهم اغفر لي ذنبي . فقال الله تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي ربّ أغفر لي ذنبي .فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال :أي ربّ أغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء)) [1] . وقوله تعالى : ((فليفعل ما شاء)) : أي مادام يفعل هكذا يذنب ويتوب أغفر له فإن التوبة تهدم ما قبلها .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم)).[2]

فوائد متعلقة بالرجاء في الله

قال تعالى : {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى }[3]، فعن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما أنزل الله آية أرجى من قوله : ولسوف يعطيك ربك فترضى ، فادخرتها لأمتي يوم القيامة)) .[4]

ولما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام : ((إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار)) أي من المؤمنين الموحدين . وفي ذلك يقول شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت :

قرأنا في الضحى ولسوف يعطي ... فسرَّ قلوبنا ذاك العطاء
وحاشى يا رسول الله ترضى ... وفينا من يعذّب أو يساء

---

[1]) متفق عليه .
[2]) رواه مسلم .
[3]) الضحى ، الآية ٥ .
[4]) رواه الديلمي .

ومما قيل في الرجاء :

يـــا رب إن ذنوبي فــي الورى عظمت   وليس لــي عمل في الحشر ينجيني
وقــد أتيتك بـــالتوحــيد يصحـــبه   حب النبــي وهذا القدر يكفينــي

ومما أحسن ما قيل في الرجاء :

قــالــت لي النفس أتـاك الردى   وأنت في بحر الخطايــا مقيم
هلا اتخذت الزاد قلت : اقصري   هل يحمل الزاد لدار الكريم

وقال الإمام الشافعي أيضاً في الرجاء :

فلما قســا قلبي وضاقت مذاهبــي   جعلت الرجـاء منــي لبابك سلما
تعــاظمنـــي ذنبــي فلما قرنـتــه   بعفوك ربي كـــان عفوك أعظما
فما زلت بعفوٍ عن الذنب لم تـتزل   تجــود وتعفـــو منه وتــكرمـــا
فـــإن تنتقم منـــي فـلستُ بـآيسٍ   ولو دخلتُ نفســي بجرم جهنما
ولــولاك لم يغـو بـــإبليس عـــابدٍ   فكيف وقد أغوى صفيك آدمـــا
وإنـــي لآت الذنب أعــرف قدرهـــا   وأعلـــم أن الله يعفو تـــكرمـــا

وقيل فيه أيضاً :

أنا مذنب أنـــا مخطئ أنـــا عاصي   هو غافر هو راحم هو كـــافي
قـــابلتهن ثـــلاثـــةٌ بثـــلاثـــةٍ   وستغلبن أوصـــافه أوصافــي



ومن أعظم الآيات في الرجاء قوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } [1] ، قال ابن عباس : (يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم) ، وعن أبي عثمان النهدي قال : سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سابقنا سابق ، ومقتصد ناجٍ ، وظالمنا مغفور له)) .

واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق و فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية ((ثم أورثنا ...)) الآية ، فقال : ((أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ، ثم يدخل الجنة)) ، وقال عقبة بن صهبان : سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عزّ وجل : ((ثم أورثنا الكتاب الذين ...)) الآية ،فقالت : (يا بني كلهم في الجنة ، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم) .

وقال مجاهد والحسن وقتادة : فنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشأمة ، ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة ، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم .

---

[1]) فاطر ، الآيات ٣٢،٣٣ .

وعن ابن عباس : قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال : {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا }[1] ، وقال بعضهم : يذكر ذلك عن الحسن ، قال : السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل : الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه ،والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه ، والسابق الذي باطنه خيراً من ظاهره . وقيل : الظالم من وحَد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله ، والمقتصد من وحَد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه . والسابق من وحَد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله .

قال الأمام علي كرم الله وجهه : ((يسرني من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه)) قال تعالى : {عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } ، فجعل الرحمة عموماً والعذاب خصوصاً .

وقيل : (الظالم التالي للقرآن والمقتصد القارئ له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه.

وقيل : الظالم أصحاب الكبائر ، والمقتصد أصحاب الصغائر ، والسابق الذي لم يرتكب كبيره ولا صغيره .

وقال سهل بن عبد الله : ((السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل)).

قال جعفر الصادق : ((انه بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلاّ بكرمه ، وأن الظالم لا يؤثر في الاصطفاء ، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء ، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره ، وكلهم في الجنة . وقال أبو بكر الوراق : (رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس ، لأن أحوال العبد ثلاثة : معصية ، وغفلة ، ثم توبة ، ثم قربة ، فإن عصى دخل في حيز الضالمين ، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين ، وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين٢ .

---

[1]) فاطر٣٣ .

[2]) تفسير البغوي . بتصرف .

{ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ } ، وهو المسيء . { وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ }، وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً . { وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ } ، وهو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السيئات ، فإن قال قائل : كيف قال في حق من ذكر في حقه إنه من عباده ، وأنه مصطفى ، وأنه ظالم مع أن الظالم يطلق على الكافر في كثير من المواقع ؟ ؟ فنقول : المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها ، فهو ظالم لنفسه حال المعصية ، وإليه الإشارة بقوله : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) ، ويصحح هذا قول عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((ظالمنا مغفورٌ له)) ، وقال آدم عليه السلام مع كونه مصطفى : { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } ، وأما الكافر فيضع قلبه الذي به اعتبار الجسد في غير موضعه ، فهو ظالم على الإطلاق ، وأما قلب المؤمن فمطمئن بالإيمان لا يضعه في غير التفكر في آلاء الله ، ولا يضع فيه غير محبة الله ، فقيل : الظالم هو المصر على المعصية ، والمقتصد هو النادم والتائب ، والسابق هو مقبول التوبة . والمختار هو أن الظالم من خالف فترك أوامر الله وارتكب مناهيه ، فإنه واضع للشيء في غير موضعه ، والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وإن لم يوفق لذلك ، وبدر منه ذنب وصدر عنه إثمٌ فإنه اقتصد واجتهد وقصد الحق ، والسابق هو الذي لم يخالف توفيق الله ويدل عليه (بإذن الله) ، أي اجتهد ووقف لما اجتهد فيه وفيما اجتهد فهو سابق بالخير يقع في قلبه فيسبق إليه قبل تسويل النفس ، والمقتصد يقع في قلبه فتردده النفس ، والظالم تغلبه النفس . ونقول بعبارة أخرى : من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها فهو الظالم ، ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب أخرى فهو المقتصد ، ومن قهر نفسه فهو السابق .

دخل عبد الله بن مسعود المسجد ذات يوم فسمع رجلاً يعظ الناس وهو يتوعدهم بالعذاب ، والنار والأغلال ، ويكرر ذلك كثيراً ، فتقدم منه عبد الله وقال له : (أما قلت لهم ما قال ربك : { لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً } ، فبعد ان تخوفهم من عقابه ترغبهم في ثوابه ؟؟) .

وكان ابن مسعود يقول : (أربع آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها ، قوله تعالى : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ }[1] ، وقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً }[2] ، وقوله تعالى : {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً }[3] ، وقوله تعالى : {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً }[4]) .

قال تعالى : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } ، قال الكلبي : (نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه ، وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوفِ له بذلك ، فلما قدم مكة ندم على صنعه هو وأصحابه ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنا ندمنا على الذي صنعنا ، وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة : {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ }[5] ، وقد دعونا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله ، وزنينا ، فلولا هذه الآيات لاتبعناك) ، فنزلت : {إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً }[6] . الآيتين ، فبعث بهما رسول الله إليهم ، فلما قرؤوا كتبوا إليه : (إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل صالحاً) فنزلت : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } ، فبعث بها إليهم ، فبعثوا إليه : (إنا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة) ،

---

[1]) النساء٤٨ .

[2]) النساء٦٤ .

[3]) النساء٣١ .

[4]) النساء١١٠ .

[5]) الفرقان٦٨ .

[6]) الفرقان٧٠ .

فنزلت : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [1] ، فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ، ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : كنا على عهد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم إذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } ٢ . فامسكنا عن الشهادات .

وحكي عن علي رضي الله عنه : أن أرجى آية في القرآن قوله تعالى { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } ٣.

وعن جابر قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال :يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : ((من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار)) .

قال أبو ذر :أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ ، فقال : ((ما من عبد قال : لا إله ألا الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنة)) قلت : وأن زنى وإن سرق ؟؟ قال : وإن زنى وإن سرق)) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟؟ قال : ((وإن زنى وإن سرق)) قلت : ((وإن زنى وإن سرق)) ؟؟ قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر)) وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رغم أنف أبي ذر . قوله تعالى : {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً } ٤.

اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر . فعن عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال : (الكبائر ا لإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس) .

---

[1]) الزمر٥٣ .

[2]) النساء٤٨ .

[3]) النساء٤٨ .

[4]) النساء٣١ .

وعن سعيد بن جبير : أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر السبع ؟

قال هي إلى السبعمائة اقرب إلاّ أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، وقال : (كل شيء عصي الله به فهو كبيرة ، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر ، فإن الله ليخلد في النار من هذه ألامة إلاّ راجعاً عن الإسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بالقدر) .

وقال عبد الله بن مسعود : (ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى قوله : {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ } ، فهو كبيرة) . وقال سيدنا علي بن أبي طالب : (هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب) . وقال الضحاك : (ما أوعد الله عليه حداً في الدنيا أو عذاباً في الآخرة) ز وقال الحسن بن الفضل : (ما سماه الله في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى : { إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً } ، { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً } ، { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } ، { إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } ، { سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } ، { إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً } .

وقال سفيان الثوري : (الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى ، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى ، لأن الله كريم يعفو) . واحتج بما روي عن أنس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : ((ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة : يا أمة محمد عن الله عزّ وجل قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات ، تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي)) . وقوله : { وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } أي : من الصلاة إلى الصلاة ، ومن الجمعة إلى الجمعة ، ومن رمضان إلى رمضان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهم ما اجتنب الكبائر)) .

قولــه تعــالى : {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً }[1] ، والمراد بالسوء القبيح الذي يسوء به غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع ، ومن رمي اليهودي بالسرقة ، والمراد بظلم النفس ما يختص به الإنسان كالحلف الكاذب ، وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء أن ذلك يكون في الأكثر إيصالاً للضرر إلى الغير ، والضرر سوء حاضر ، فأما الذنب الذي يخص الإنسان فذلك في الأكثر لا يكون ضرراً حاضراً لأن الإنسان لا يوصل الضرر إلى نفسه .

واعلم أن هذه الآية دالة على حكمين :

الأول : أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب ، سواء كانت كفراً أو قتلاً ، عمداً أو غصباً للأموال لأن قوله : {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} عمَّ الكل .

الثاني : إن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كافٍ ، وقال بعضهم : إنه مقيد بالتوبة ، لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار ، وقوله : { يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً } معناه غفوراً رحيماً له ، وحذف هذا القيد لدلالة الكلام عليه ، فإنه لا معنى للترغيب في الاستغفار إلا إذا كان المراد ذلك٢ .

خطب عبد الملك بن مروان يوماً خطبة بليغة ، ثم قطعها وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : (يا رب إن ذنوبي عظيمة وإن قليل عفوك أعظم منها . اللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي) . قال الأصمعي : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : (لو كان الكلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام) .

---

[1]) النساء١١٠ .

2) تفسير الرازي .

ومما قيل في الرجاء :

إله الخلق قد عظمت ذنوبـــي — فسامح ما لعفوك من مشارك
أجر يـــا سيدي عبداً فقـــيراً — أنـــاخ ببابك العالـــي ودارك

وقال غيره :

فقلت إلـــى رمس القبـــور وضيقهـــا — وخوفي ذنوبي أنهـــا بـــــي تعثر
فصـــــادفت رحـــماناً رؤفاً وأنعمــــا — حباني بها نقضاً لما كنت أحـــذّر
ومن كان حسن الظن في حـــال موته — جميـــــلاً لعفـــو الله فالعفو أجدر

هل الذنب يُدخل به الجنة ؟؟

قال بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به إلى الجنة ، قالوا : كيف ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصب عينه خائفاً منـه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديـه منكسر القلب لـه ، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة لما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخول الجنـة . كما قال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : ((إن العبد ليذنب فيدخل به الجنـة ، فقيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يكون نصب عينه تائباً فاراً حتى يدخل الجنـة)) ١ . وقال بعضهم : إن العبـد ليـذنب الـذنب فلا يـزال نادمـاً حتـى يـدخل الجنـة ، فيقول إبليس ليتني لم أوقعه في الذنب .

ومما قيل في الرجاء :

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم — وما عليك إذا أذنبت من بـأس
إلاّ اثنتين فــلا تقربهمــــا أبداً — الشرك بالله والإضـرار بالنـــاس

---

1) أخرجه ابن المبارك .

استغاثة مع رجاء :

قال السهيدي رحمة الله عليه : إن هذه الأبيات ما سأل الله بها أحد حاجة إلا أعطاه إياها وهي :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمرجع
يا من خزائن رزقه في قول كن أمن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إلك وسيلة فبالإفتقار إليك فقري أرفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو واهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشى لجودك أن تقنّت عاصياً الفضل أجزل و المواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما إن التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدي عليك توكلاً وبسطتُ كفّي سائلاً أتضرع
فبحق مَن أرسلته وبعثته وأجبت دعوة مَن به يستشفع
اجعل لنا من كل ضيقٍ مخرجاً والطف بنا يا مَن إليه المرجع
ثم الصلاة على النبي وآله خير الأنام ومَن به يستشفع

ما قيل في الخوف والرجاء :

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجلٍ مما به أنت عارف
يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقي ومالك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما يصد ذوو القربى ويجفو الوالف
لان ضاق من يعفوك الواسع الذي أرجي بإسراف فإني لتالف

يقال أن أبا نواس قال هذه الأبيات فبل وفاته :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثــرة   فلقد علمتُ بــأن عفوك أعظـــم
إن كــان لا يرجــوك إلاّ محــسناً   فبمن يلــــوذ ويستجير المجـــرم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعــاً   فإذا رددتَ يديَ فمن ذا يرحـــمُ

والرجاء : هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده . ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب .فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها ، فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء ، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الإنتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب . وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء ومثله الخوف إلاّ على ما يتردد فيه ، أما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع .

فاسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهد جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلاّ ما ليس يدخل تحت اختياره ، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات ، فالعبد إذا بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات ، وطهر القلب عن الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك على الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة ، كان انتظاره رجاءً حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت ، وانقطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات . أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذّات الدنيا ،ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور . قال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : ((الأحمق من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الجنة)) .

فإذاً العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة ، وما تمام النعمة إلاّ بدخول الجنة .

والرجاء محمود لأنه باعث ، واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل ، والخوف ليس ضد للرجاء بل هو رفيق له . وهو باعث آخر بطريق الرهبة ، كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة ، فإذاً حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال ، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال . ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى و التنعم بمناجاته ، والتلطف في التملق له ، فإن هذه الأحوال لابد وأن تظهر على كل من يرجو مَلِكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص ، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى . فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان من مقام الرجاء ، والنزول في حضيض الغرور والتمني .

خاتمة :

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم)) [1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم صلى الله عليه وسلم : ((ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني)) الآية ، وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [2] فرفع يديه وقال : ((اللهم أمتي امتي)) وبكى . فقال الله عز وجل :((يا جبريل اذهب إلى محمد _ وربك أعلم _ فسله ما يبكيك)) فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم . فقال الله تعالى : ((يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)) [3].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال : ((يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله)) قلت : الله ورسوله اعلم . قال : ((فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)) فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : ((لا تبشرهم فيتكلوا)) [4].

---

[1]) رواه مسلم .
[2]) المائدة ١١٨ .
[3]) رواه مسلم .
[4]) متفق عليه .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)) ١.

وعن أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضي الله ((في أثناء حديث طويل)) يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه ؟ فقال : ((ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلاّ خرّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلاّ خرّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ،ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلاّ خرت خطايا يديه من أنامله مع ، ثم يمسح رأسه إلاّ خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلاّ خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء ، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل ، وفرّغ قلبه لله تعالى إلاّ انصرف من خطيئته كهيئة يوم ولدته أمه)) . ٢

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلك أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقرّ عينه . ٣

قال صلى الله عليه وسلم ((لله أفرح بتوبة أحدكم .... الحديث)) والفرح وراء القبول ، فهو دليل على القبول وزيادة .

وقال صلى الله عليه وسلم ((لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم)) . ٤

---

[1]) رواه مسلم .
[2]) رواه مسلم .
[3]) من كتاب رياض الصالحين .
[4]) أخرجه ابن ماجه .

وقال صلى الله عليه وسلم ((كفارة الذنب الندامة)) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)) .

ويروي إنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال : إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلني ؟ فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصاً : أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلناك [1].

[1]) من كتاب إحياء علوم الدين .

الفهرس :